تفسير سورة طه

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

اللقاء الثالث

المعنى الإجمالي: من الآية (9) إلى الآية (23):

يقولُ الله تعالى مبينًا قصةَ موسَى عليه السلامُ بشيءٍ مِن التفصيلِ: وهل أتاك -يا مُحَمَّدُ- خبَرُ موسى حين رأى نارًا مُوقَدةً في ليلةٍ مُظلِمةٍ، فقال لأهلِه: انتَظِروا لقد أبصرتُ نارًا، لعلِّي أجيئُكم منها بشُعلةٍ تَستَدفِئونَ بها، أو أجِدُ عندها هاديًا يدُلُّنا على الطَّريقِ.

فلمَّا أتى موسى تلك النَّارَ ناداه الله: يا موسى، إنِّي أنا ربُّك، فاخلَعْ نَعلَيك؛ لأنَّك بوادي «طُوًى» المطَهَّرِ المبارَكِ، وإنِّي اخترتُك -يا موسى- لرسالتي وكلامي، فاستَمِعْ لِما يُوحَى إليك مِنِّي، إنَّني أنا اللهُ لا مَعبودَ بحَقٍّ إلَّا أنا، لا شريكَ لي؛ فاعبُدني وحدي، وأقِمِ الصَّلاةَ لتَذكُرَني فيها.

ثمَّ بيَّن سبحانه أنَّ الساعةَ آتيةٌ، وحذَّر مِن عدمِ الاستعدادِ لها فقال: إنَّ القيامةَ آتيةٌ لا بُدَّ مِن وُقوعِها، أكادُ أُخفيها مِن نَفسي، فلا يَعلَمُها أحَدٌ. تقومُ السَّاعةُ لكي تُجزى كلُّ نفسٍ بما عَمِلَت في الدُّنيا من خيرٍ أو شَرٍّ، فلا يَصرِفَنَّك -يا موسى- عن الإيمانِ بها والاستعدادِ لها مَن لا يصَدِّقُ بوُقوعِها، ولا يعمَلُ لها، واتَّبَعَ شهواتِه؛ فتَهلِكَ.

يَقولُ اللهُ تعالى لِموسى عليه السلامُ: وما هذه التي في يمينِك يا موسى؟ قال موسى: هي عصايَ أعتَمِدُ عليها في المشيِ، وأضرِبُ بها الشَّجَرَ؛ لِتَرعى غَنَمي ما يسقُطُ مِن وَرَقِه، ولي فيها منافِعُ أخرى.

قال اللهُ لموسى: ألقِ عصاك. فألقاها موسى على الأرضِ، فانقَلَبَت بإذنِ اللهِ حَيَّةً تسعى بسُرعةٍ وخِفَّةٍ، فقال اللهُ لِموسى: خُذِ الحيَّةَ ولا تَخَفْ منها، سوف نعيدُها إلى حالتِها وهيئتِها الأُولى عصًا كما كانت، وأدخِلْ يَدَك في جَيبِك واضمُمْها إلى جَنبِك تحتَ العَضُدِ، تخرُجْ بَيضاءَ كالثَّلجِ مِن غَيرِ عَيبٍ ومَرَضٍ كبَرَصٍ، علامةً أخرى لك؛ فعَلْنا ذلك لكي نُرِيَك -يا موسى- مِن أدِلَّتِنا الكبرى الدَّالَّةِ على قُدرَتِنا، وصِحَّةِ رِسالتِك.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿24﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال ابن عاشور: لما أظهَر اللهُ تعالى لموسى -عليه السَّلامُ- الآيتينِ، فعَلِمَ بذلك أنَّه مؤيَّدٌ مِن الله تعالى؛ أمَرَه اللهُ بالأمرِ العَظيمِ الذي مِن شأنِه أنْ يُدخِلَ الرَّوعَ في نفسِ المأمورِ به، وهو مواجهةُ أعظَمِ ملوكِ الأرضِ يَومَئذٍ بالموعِظةِ، ومكاشَفتُه بفَسادِ حالِه.

(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) أي: اذهبْ -يا موسى- إلى فِرعونَ مَلِكِ مِصرَ، فادعُه إلى توحيدِ الله وطاعتِه، وإرسالِ بني إسرائيلَ معك، وعَدَمِ تَعذيبِهم؛ لأنَّه تجاوَزَ حدَّه، فادَّعى الربوبيَّةَ، وتمرَّدَ على ربِّه، وعلا في الأرضِ، وأفسَد فيها. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) [النازعات: 17 - 19].

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿25﴾

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) أي: قال موسى: يا ربِّ وسِّعْ لي صدري؛ لأعِيَ ما تُوحيه إليَّ، وأتجرَّأَ على مخاطبةِ فِرعَونَ، وأتحمَّلَ أذاه ووعيدَه، فلا يضيقَ صدري. موسوعة التفسير

❍لن تضيق وربك موجود ... جبال الهموم ينسفها ربك نسفا إن استغثت بكرمه فلله ألطاف يمن بها على عباده. مها العنزي

قال ابن كثير: هذا سؤالٌ مِن موسى عليه السَّلامُ لربِّه عزَّ وجل: أنْ يَشرَحَ له صَدْرَه فيما بعَثَه به؛ فإنَّه قد أمَرَه بأمرٍ عظيمٍ، وخَطْبٍ جسيمٍ؛ بعَثَه إلى أعظَمِ مَلِكٍ على وَجهِ الأرض إذ ذاك، وأجبَرِهم وأشَدِّهم كُفرًا، وأكثَرِهم جُنودًا، وأعمَرِهم مُلكًا، وأطغاهم وأبلَغِهم تمرُّدًا، بلغَ مِن أمرِه أنِ ادَّعى أنَّه لا يَعرِفُ اللهَ، ولا يعلَمُ لرعاياه إلهًا غيرَه! هذا وقد مكث موسى في دارِه مُدَّةً وليدًا عندَهم في حِجرِ فِرعَونَ على فراشِه، ثمَّ قَتَل منهم نَفسًا فخافهم أنْ يقتُلوه، فهرب منهم هذه المدَّةَ بكَمالِها، ثمَّ بعد هذا بعَثَه رَبُّه عزَّ وجَلَّ إليهم نذيرًا يدعوهم إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ أنْ يَعبُدوه وَحْدَه لا شَريكَ له.

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ﴿26﴾

(وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) أي: وسَهِّلْ عليَّ -يا ربِّ- القيامَ بشأنِ الرِّسالةِ، ودَعوةِ فِرعَونَ، واجعَلْ ما تُكَلِّفُني به مِن الطاعاتِ، وما يعتَريني مِن الشَّدائدِ في سبيلِك هيِّنًا عليَّ. موسوعة التفسير

❍ما أصعب الأمور إن تعسرت بوجه صاحبها وما أثقلها على النفس اللهمَّ إن اليسر جند من جنودك فأيدنا به. روائع القرآن

قال السعدي: سأل موسى عليه السلامُ ربَّه المعونةَ، وتيسيرَ الأسبابِ، التي هي من تمامِ الدعوةِ، فقال: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي أي: وسِّعْه وأفسِحْه؛ لأتحمَّلَ الأذَى القوليَّ والفِعليَّ، ولا يتكدَّرَ قلبي بذلك، ولا يضيقَ صدري؛ فإنَّ الصَّدرَ إذا ضاق لم يصلُحْ صاحِبُه لهدايةِ الخَلقِ ودَعوتِهم. وقال: وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

ومِن تيسيرِ الأمرِ أنْ يُيسرَ للداعي أنْ يأتيَ جميعَ الأمورِ مِن أبوابِها، ويخاطِبَ كلَّ أحدٍ بما يناسبُ له، ويدعوه بأقربِ الطرقِ الموصلةِ إلى قَبولِ قولِه.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ ﴿27﴾

(وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) أي: وأطلِق الانحِباسَ الشَّديدَ الذي في لِساني؛ كي ينطَلِقَ، ويسْهُلَ عليَّ الكلامُ. موسوعة التفسير

ففي هذا طلب التوفيق إلى حسن الكلام في الدعوة إلى الله في خطاب الناس، والتأثير على عقولهم، وعواطفهم بالحكمة بالقول، وإلى الرفق بالفعل.

قال ابنُ كثيرٍ: ما سأل أنْ يزولَ ذلك بالكليَّة، بل بحيثُ يزولُ العِيُّ، ويحصُلُ لهم فَهمُ ما يُريدُ منه، وهو قَدرُ الحاجةِ. ولو سأل الجميعَ لزال، ولكنَّ الأنبياءَ لا يسألون إلا بحَسَبِ الحاجةِ، ولهذا بَقِيَتْ بقيَّةٌ، قال اللهُ تعالى إخبارًا عن فِرعَونَ أنَّه قال: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) [الزخرف: 52] أي: يُفصِحُ بالكلام. وقال الحسنُ البصري: وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي قال: حلَّ عقدةً واحدةً، ولو سأل أكثَرَ مِن ذلك أُعطي. موسوعة التفسير

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿28﴾

(يَفْقَهُوا قَوْلِي) أي: فيفهَمَ النَّاسُ قولي حينَ أُخاطِبُهم. موسوعة التفسير

فلما شعر موسى بمشقة هذا الأمر من الله لم يترك الاستجابة لله في هذا الأمر، بل اتخذ الأسباب المعينة له على ذلك، ومن أهمها الدعاء، لأن انشراح الصدر يحول مشقة التكليف إلى متعة، ويحول عناءه إلى لذة ويجعله دافعاً للحياة لا عبئاً يثقل خطى الحياة، وكذلك تيسير الأمر إنما هو توفيق من الله، فلا فلاح ولا نجاح إلا بإعانة الله وتوفيقه.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿29﴾

(وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي) أي: واجعَلْ لي مُعينًا مِن أهلِ بيتي أعتَمِدُ عليه، فيَحمِلُ عني بعضَ ثِقَلِ أمرِ الدَّعوةِ والرِّسالةِ، ويساعِدُني على ما كلَّفتَني به. موسوعة التفسير

﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ﴿30﴾

(هَارُونَ أَخِي) أي: اجعَلْ هارونَ أخي وزيري. موسوعة التفسير

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ موسى: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) [القصص: 34].

وقال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) [مريم: 53].

سأل أنْ يكونَ مِن أهلِه؛ لأنَّه من بابِ البِرِّ، وأحَقُّ ببِرِّ الإنسانِ قَرابتُه، ولأنَّه به أوثَقُ؛ لكونِه عليه أشفَقَ. موسوعة التفسير

الله يعلم أن هارون هو أخ موسى دون ان يخبره! لكن لشدة احتياجه له خرجة منه هذه الكلمة فالأخ هو سندك الحقيقي بالنوازل. مها العنزي

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿31﴾

(اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) أي: قَوِّ بهارونَ ظَهري، وأعِنِّي به. موسوعة التفسير

علم موسى من سابق عهد هارون النصح والمحبة والعون له فسأل الله ذلك ما أعظم نعمة الإحسان للإخوة بلغت بهارون النبوة. عبد الله بلقاسم

مهما بلغ الإنسان من مكانة فهو أحوج ما يكون إلى من يشد أزره ويطمئن قلبه ويعاونه ويسانده ويذكّره بالله. مركز بينات النسائي

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ ﴿32﴾

(وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) أي: واجمَعْ بيني وبينه في النبُوَّةِ، وتبليغِ الرِّسالةِ، فاجعَلْه نبيًّا مِثلَ ما جعلْتَني نبيًّا، وأرسِلْه معي إلى فِرعَونَ. موسوعة التفسير

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿33﴾

(كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا) أي: اجعَلْ هارونَ أخي عضُدًا لي؛ مِن أجلِ أنْ نتعاوَنَ معًا على عبادتِك، فنصلِّيَ لك، ونعظِّمَك بالتَّسبيحِ لك كثيرًا، تنزيهًا عمَّا لا يليقُ بك. موسوعة التفسير

قال القرطبي: (قيل: معنى نُسَبِّحَكَ: نصلِّيَ لك. ويحتمَلُ أنْ يكونَ التَّسبيحُ باللِّسانِ، أي: ننزِّهَك عما لا يليقُ بجلالك).

لهذا تحتاج الإخُّوة والصحبة وذاك ما يشد فيه الأزر غير ذلك راجع صداقاتك! أيرجى منها خير؟ خواطر قرآنية

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿34﴾

(وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) أي: ونذكُرَك ذِكرًا كثيرًا فنُثنيَ عليك ونحمَدَك على نِعَمِك، ونَصِفَك بما يليقُ بك من صِفاتِ كمالِك. موسوعة التفسير

وكلما ذكرت الله أكثر كلما صفت مرآة قلبك وإذا صفا القلب استقرت به الحكمة والخشية وسائر فضائل القلوب. فوائد القرآن

قال ابن حيان: قَدَّمَ التَّسبيحَ؛ لأنَّه تَنزيهُه تعالى في ذاتِه وصفاتِه، وبَراءتُه عن النَّقائصِ، ومَحلُّ ذلك القلْبُ، والذِّكْرُ والثَّناءُ على اللهِ بصفاتِ الكَمالِ، ومَحلُّه اللِّسانُ؛ فلذلك قَدَّمَ ما مَحلُّه القلْبُ على ما مَحلُّه اللِّسانُ.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ ﴿35﴾

(إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) أي: إنَّك كنتَ بنا مُبصِرًا، لا يخفَى عليك شَيءٌ مِن أمْرِنا. موسوعة التفسير

❍مهما تخفينا ومهما تجملنا ومهما تلونا فنحن كتاب مكشوف أمام الله واضح غاية الوضوح اللهم سترك علينا... وعفوك عنا. مها العنزي

قال ابنُ كثيرٍ: (قولُه: إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا أي: في اصطفائِك لنا، وإعطائِك إيَّانا النبوةَ، وبعثِتك لنا إلى عدوِّك فرعونَ، فلك الحمدُ على ذلك).

وقال السعدي: (إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا تعلمُ حالَنا، وضعَفنا، وعجزَنا، وافتقارَنا إليك في كلِّ الأمورِ، وأنت أبصرُ بنا مِن أنفسِنا وأرحمُ، فمُنَّ علينا بما سألناك، وأجِبْ لنا فيما دعوناك).

في ختمِ الأدعيةِ بهذه الآيةِ فائدة: تفويضُه إلى الله تعالى بأنَّه أعلَمُ بما فيه صلاحُهم، وأنَّه ما سأل سؤالَه إلَّا بحَسَبِ ما بلَغَ إليه عِلمُه، وفيه من حسن الأدب ما لا يخفى. موسوعة التفسير

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿36﴾

(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) أي: قال الله: قد أُعطيتَ كلَّ ما طَلَبْتَه -يا موسى- مِن شَرحِ صَدرِك، وتيسيرِ أمرِك، وحَلِّ عُقدةٍ مِن لسانِك، وجَعْلِ أخيك هارونَ وزيرًا لك، وإشراكِه في الرِّسالةِ معك. موسوعة التفسير

❍سبع حاجات أجابها الله دفعة واحده؛ أحشد رغباتك وأكثر سؤالاتك واهتف بكل حاجاتك فرب لحظه يقال لك: قد أوتيت سؤلك!. تأملات قرآنية

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ﴿37﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال السعدي: أنَّه لَمَّا ذكَر اللهُ تعالى مِنَّتَه على موسى -عليه السَّلامُ- في الدينِ والوَحيِ، والرِّسالةِ وإجابةِ سُؤالِه؛ ذكَرَ نِعمَتَه عليه وقتَ التَّربيةِ، والتنَقُّلاتِ في أطوار

(وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى) أي: ولقد أحسنَّا إليك -يا موسى- وأنْعَمْنا عليك قبلَ هذه المرَّة -أي: قبلَ نِعمةِ الوحيِ والرِّسالةِ وإجابةِ الدُّعاءِ- مرَّةً أخرى، وأنت طفلٌ صغيرٌ. موسوعة التفسير

كم لله من فضل علينا ومنّة؟ فلك الحمد يا الله حمداً كثيراً طيبا ولك الشكر والثناء الحسن. تأملات قرآنية

امنُنْ يا مَنْ لهُ الحُسْنَى فعَبْدُكَ قدْ بَسَطَ كَفّ التَّوسُّل. خواطر قرآنية

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ ﴿38﴾

(إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى) أي: وذلك قد وقع حينَ ألهَمْنا أمَّك في شأنِك ما يُلْهَمُ. موسوعة التفسير

وقال ابن عاشور: (الوحيُ هنا: وحيُ الإلهامِ الصادقِ. وهو إيقاعُ معنًى في النفسِ ينثَلِجُ له نفسُ الملقَى إليه، بحيثُ يجزمُ بنجاحِه فيه، وذلك مِن توفيقِ الله تعالى. وقد يكونُ بطريقِ الرُّؤيا الصالحةِ التي يُقذَفُ في نفسِ الرَّائي أنها صِدقٌ).

قد أُبْهِمَ مَا يُوحَى، ثمَّ فُسِّرَ بالأمْرِ بقذْفِه في التَّابوتِ وقذْفِه في البحرِ؛ أُبْهِمَ أوَّلًا؛ تَهويلًا له وتَفخيمًا لشأْنِه، ثمَّ فُسِّرَ؛ ليكونَ أقَرَّ عندَ النَّفسِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصص: 7].

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿39﴾

(أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ) أي: فأوحَينا إليها أنْ ألْقِ ابنَك موسى في الصُّندوقِ. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (الضميرُ في قوله: أَنِ اقْذِفِيهِ راجعٌ إلى موسى بلا خلافٍ). ((أضواء البيان))

(فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ) أي: فاطرَحيه وهو في الصُّندوقِ في نهرِ النِّيلِ. موسوعة التفسير

قال الرازي: (اليمُّ هو البحرُ، والمرادُ به هاهنا نيلُ مِصرَ في قولِ الجميعِ، واليمُّ: اسمٌ يقع على البحرِ وعلى النَّهرِ العظيمِ).

لما أذعنت ام موسى لأمر الله وقذفته باليم كانت تعلم ان الله لن يضيعه ويضيعها ... فاستجب لله بكل امورك فلن يضيعك. مها العنزي

(فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) أي: فلْيُلقِ نهرُ النِّيلِ موسى وهو في داخِلِ الصُّندوقِ بالشَّاطئِ. موسوعة التفسير

الأسباب لا تنجي إلا بالله، البحر الذي نجى الله منه موسى وهو رضيع هو الذي أغرق فيه فرعون وهو جبار. (فليلقه اليم بالساحل) (فأغرقناهم في اليم). عبد العزيز الطريفي

قال الشنقيطي: (صيغةُ الأمرِ في قولِه: فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ فيها وجهانِ معروفانِ عند العُلَماءِ: أحدُهما: أنَّ صيغةَ الأمر معناها الخبَرُ؛ قال أبو حيان في «البحر المحيط»: فَلْيُلْقِهِ: أمرٌ معناه الخبَرُ، وجاء بصيغةِ الأمر مُبالغةً؛ إذ الأمرُ أقطَعُ الأفعالِ وأوجَبُها. الوجهُ الثاني: أنَّ صيغةَ الأمرِ في قولِه: فَلْيُلْقِهِ أريدَ بها الأمرُ الكونيُّ القَدَريُّ، كقَولِه تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس: 82] فالبَحرُ لا بدَّ أنْ يُلقيَه بالسَّاحِلِ؛ لأنَّ اللهَ أمَرَه بذلك كَونًا وقَدَرًا). ((أضواء البيان))

(يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ) أي: وحينئذٍ يأخُذُ موسى فِرعَونُ الذي هو عدوٌّ لي وعدوٌّ لموسى. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) [القصص: 8].

أنت منتصر بإذن الله إن كان أعداؤك هم أعداء الله .... علي الفيفي

(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) أي: أحبَبْتُكَ وجعلتُك محبوبًا لكلِّ من يراك، ووضعتُ لك القَبولَ بينَ النَّاسِ. موسوعة التفسير

وقال الثعلبي: (قولُه سبحانه: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي قال ابنُ عباسٍ: أحبَّه وحبَّبه إلى خلقِه).

وفي قولِه: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي نكَّرَ المحبَّةَ وأسْنَدَها إليه سُبحانَه؛ لأمْرينِ؛ الأوَّلِ: ما في التَّنكيرِ من الفَخامةِ الذَّاتيَّةِ، كأنَّها مَحبَّةٌ تَعْلو على الحُبِّ المتعارَفِ المتبادَلِ بين المخلوقاتِ. الثَّاني: ما في إسنادِها إليه من الفَخامةِ الإضافيَّةِ، أي: مَحبَّةً عظيمةً مِنِّي، وقد زرعْتُها في القُلوبِ، وركزْتُها في السَّرائرِ ومُنطوياتِ الضَّمائرِ؛ فسُبحانَ المتكلِّمِ بهذا الكلامِ. موسوعة التفسير

المحبه من الله، يلقيها الله على من يشاء من خلقه فتنجذب إليه القلوب، وتنقاد إليه النفوس دون سبب ظاهر. مها العنزي

قال ابن زيد: جعل من رآك أحبك، حتى أحبك فرعون، فسلمت من شره، وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك.

قال الفضيل بن عياض: إذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد. نايف الفيصل

المحبة رزق من الله، لا تُشترى بالمال ولا بالجاه والسلطة، إذا وجدت نفسك محبوبا بين الناس فاحمد الله على رزقه. فوائد القرآن

محبة وأنت في قفار مدين ترعى الغنم...محبة وأنت في تابوت يلعب به الموج...محبة وأنت مقرور في ليل مظلم. عبد الله بلقاسم

لا يلزم من محبة الله لأحدٍ، حب كل الناس له وإنما أهل الفطر الصحيحة، قال الله عن موسى (وألقيت عليك محبة مني) وهو أبغض الناس عند فرعون وأتباعه / عبد العزيز الطريفي

(وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) أي: ولتُغذَّى وتُربَّى في قصر فِرعَون على ما أُريدُ بمرأًى منِّي، وتحت حِفْظي ورعايتي. موسوعة التفسير

قالها الله عن موسى وهو في اليم والساحل وقصر الطاغية لا تخدعك الأماكن الموحشة والظروف الخانقة رعاية الله معك. تدبر آية

من قرّت عينه بالله؛ قرّت به كل عين وأنس به كل مستوحش وطاب به كل خبيث وفرح به كل حزين وأمن به كل خائف. ابن _القيم روائع القرآن

إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية؛ فكيف بمن يصنع صنعا على عين الله! / د. طارق مقبل

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ ﴿40﴾

(إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) أي: حينَ كانت أختُك تمشي لِتتَّبِعَك حتى وجدَتْك في أيدي آلِ فِرعَونَ يَطلُبونَ لك مُرضِعًا فتَقولُ لهم: هل أدلُّكم على من يضُمُّ هذا الطِّفلَ إليه، ويقومُ بمَصالحِه وخِدمتِه، فيُرضِعُه ويُرَبّيه ويحفَظُه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) [القصص: 10 - 12].

(فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) أي: فرَدَدْناك إلى أمِّك بعدَما صرتَ في أيدي آلِ فِرعَون؛ لكي تفرَحَ بلُقياك وسَلامتِك، ولا تحزَنَ على فَقدِك وفِراقِك. موسوعة التفسير

لأنه لا أدفأ لك من حضنها ... ولا أهنأ لك من حليبها ... ولا أعطف عليك من قلبها ... إنها الأم. علي الفيفي

مع أن المهمة جسيمة وصراع مستقبلي بين الحق والباطل لكن الله لم يغفل عن فطرت قلب الأم ما أرحمك يا الله. مها العنزي

كل هذا التدبير واللطف في اليم والقصر والرضاع حتى لا تحزن مؤمنة، ما أرحم الله. عبد الله بلقاسم

قال ابن عاشور: عطَفَ نفْيَ الحُزنِ على قُرَّةِ العينِ؛ لتَوزيعِ المِنَّةِ؛ لأنَّ قُرَّةَ عَينِها برُجوعِه إليها، وانتفاءَ حُزْنِها بتَحقُّقِ سَلامتِه من الهَلاكِ ومن الغَرقِ، وبُوصولِه إلى أحسَنِ مأوًى.

الله لطيف بعباده، مهما قدر الظروف القاسية على عباده لا بد وان يجبر كسر فؤادهم. مها العنزي

(وَقَتَلْتَ نَفْسًا) أي: وقتلتَ الرجُلَ القبطيَّ من آلِ فِرعَونَ حينَ استغاثَك الإسرائيليُّ عليه، وكانَ قتلُه له خطأً. موسوعة التفسير

كما قال تعالى:(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ)[القصص: 15].

(فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) أي: فنجَّيناك من غمِّك لَمَّا أراد آلُ فِرعَون قَتْلَك اقتصاصًا للقبطيِّ، ففَرَرتَ منهم خائفًا إلى مَدْينَ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [القصص: 20، 21].

وقال سُبحانَه: (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [القصص: 25].

(وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) أي: واختَبرناك اختبارًا بإيقاعِك في المحنِ، وتخليصِك منها. موسوعة التفسير

وقال الشوكاني:(وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا الفتنةُ تكونُ بمعنَى المحنةِ، وبمعنَى الأمرِ الشَّاقِّ، وكُلِّ ما يبتلَى به الإنسانُ، والفتونُ يجوزُ أنْ يكونَ مصدرًا... أي: ابتليناكَ ابتلاءً، واختبرناكَ اختبارًا، ويجوزُ أَنْ يكونَ جمعَ فِتْنَةٍ... أيْ: خَلَّصناكَ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ مِمَّا وَقَعْتَ فيه مِنَ المحَنِ الَّتي سَبَق ذكرُها قبلَ أنْ يصطفيَه اللَّهُ لرسالَتِه).

قولُ الله تعالى: وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فيه سؤالٌ: أنَّ الله تعالى عدَّد أنواعَ مِنَنِه على موسى عليه السَّلامُ في هذا المقامِ، فكيف يليقُ بهذا الموضعِ قَولُه: وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا؟ والجوابُ مِن وُجوهٍ، منها: الوجهُ الأوَّلُ: أنَّ الفِتنةَ تَشديدُ المحنةِ، ولَمَّا كان التَّشديدُ في المحنةِ مِمَّا يُوجِبُ كثرةَ الثوابِ، لاجرمَ عدَّه اللهُ تعالى من جملةِ النِّعَمِ. الوجهُ الثاني: أنَّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا أي: خَلَّصناك تخليصًا، مِن قَولِهم: فتَنْتُ الذَّهَبَ مِن الفِضَّةِ: إذا أردْتَ تخليصَه.

كان سياق الآيات عن رعاية الله –عزوجل– بموسى –عليه السلام– واصطفائه ومع ذلك ذكر ابتلائه وفتنته، فما الحكمة من ابتلاء الأنبياء مع اصطفائهم؟

قال ابن القيم في "بدائع الفوائد" (452/2): " فإنه سبحانه كما يحمي الأنبياء ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم:

1- ليستوجبوا كمال كرامته.

2- وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم، وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم.

3- ولتمتلئ صاع الكفار، فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم. الإسلام سؤال وجواب

(فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) أي: فلمَّا خرجتَ من مصرَ خائفًا إلى مَدْيَنَ أقمتَ سنينَ كثيرةً عندَ أهلِها. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ [القصص: 21-22].

وقال سُبحانَه: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا) [القصص: 27 - 29].

(ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) أي: ثم حَضَرتَ الآن -يا موسى- إلى الوادِ المقَدَّسِ في الوقتِ المحدَّدِ الذي قدَّرتُه، وأردتُ فيه منْحَك النبوَّةَ، وتكليفَك بإبلاغِ الرِّسالةِ إلى فِرعَونَ، بلا تقدُّمٍ ولا تأخُّرٍ. موسوعة التفسير

في ملكوت الله لا يوجد شيء اسمه "صدفه" فكل خطوة وكل موقف يحصل معك مقدر من العليم الخبير لحكمه يريدها الله. مها العنزي

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿41﴾

(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) أي: واصطفيتُك وأنعمتُ عليك بالنِّعَم الكثيرةِ؛ لأجل أنْ تكونَ لي حبيبًا مختَصًّا، ورسولًا لتبليغ رسالتي. موسوعة التفسير

عظم دلائل الاصطناع الإلهي للعبد.. مسير العبد وذهابه في مرضاة ربّه. علي الفيفي

أي عناية ورعاية أعظم من عناية الله بعبده اللهم اصنعنا على عينك واصطنعنا لنفسك. محمد الربيعة

كيف يصطنع الله عبده لنفسه؟ أن يختاره لحمل رسالته وتبليغ دينه ويجعل همه كله في ذلك، يارب اجعلنا كذلك. محمد الربيعة

كما قال تعالى: (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [الأعراف: 144].

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿42﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: لَمَّا عَدَّد اللهُ سُبحانَه وتعالى على موسى -عليه السَّلامُ- المِنَنَ الثَّمانيةَ في مقابلةِ الالتماساتِ الثمانيةِ، رَتَّب على ذِكرِ ذلك أمرًا ونهيًا.

قال الرازي: (المِنَّةُ الأولَى: قولُه: إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ... المِنَّةُ الثَّانيةُ: قولُه: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي... المِنَّةُ الثَّالثةُ: قولُه: وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي... المِنَّةُ الرَّابعةُ: قولُه: إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ... والمِنَّةُ الخامسةُ: قولُه: وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ... المِنَّةُ السَّادسةُ: قولُه: وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا... المِنَّةُ السَّابعةُ: قولُه تعالَى: فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى... المِنَّةُ الثَّامنةُ: قولُه تعالَى: وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي).

وأيضًا فإنَّ اللهَ تعالى أمَرَ موسى -عليه السَّلامُ- بالذَّهابِ إلى فِرعَونَ، فلمَّا دعا ربَّه وطلب منه أشياءَ، كان فيها أن يُشرِكَ أخاه هارونَ، فذَكَرَ اللهُ أنَّه آتاه سُؤلَه، وكان منه إشراكُ أخيه، فأمَرَه هنا وأخاه بالذَّهابِ.

(اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي) أي: اذهَبْ أنت وأخوك هارونُ إلى فِرعَونَ بأدلَّتي وحُجَجي ومُعجِزاتي الدالَّةِ على صِدقِكما. موسوعة التفسير

قال أبو السعود: (أي: بمُعجِزاتي التي أريتُكَها من اليدِ والعصا؛ فإنَّهما وإن كانتا اثنتينِ لكِنْ في كلٍّ منهما آياتٌ شتَّى، كما في قَولِه تعالى: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) [آل عمران: 97]؛ فإنَّ انقلابَ العصا حيوانًا آيةٌ، وكَونَها ثعبانًا عَظيمًا لا يُقادَرُ قَدرُه آيةٌ أخرى، وسُرعةَ حَركتِه مع عِظَمِ جِرْمِه آيةٌ أخرى، وكَونَه مع ذلك مُسَخَّرًا له عليه السَّلامُ... آيةٌ أخرى، ثمَّ انقِلابَها عصًا آيةٌ أخرى، وكذلك اليَدُ؛ فإنَّ بياضَها في نفسِه آيةٌ، وشُعاعَها آيةٌ، ثمَّ رُجوعَها إلى حالتِها الأولى آيةٌ أخرى).

قال الشنقيطي: (قال بَعضُ أهلِ العِلمِ: المرادُ بالآياتِ في قَولِه هنا: اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي الآياتُ التِّسعُ المذكورةُ في قَولِه تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ [الإسراء: 101].

(وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) أي: ولا تَضعُفا، ولا تَفتُرا عن ذِكري، بل لازِماه واستَمِرَّا عليه. موسوعة التفسير

الذكر منبع القوة، من خارت قواه فغذاؤه ذكر الله. د. عقيل الشمري.

ذكر الله: مثبّت للقلوب الواجفة، ومريح للأعصاب التالفة، ومهدئ للأرواح الخائفة. علي الفيفي

قال ابنُ كثير: (والمرادُ أنهما لا يفتُرانِ في ذكرِ الله، بلْ يذكرانِ الله في حالِ مواجهةِ فِرعَونَ، ليكونَ ذكرُ الله عونًا لهما عليه، وقوةً لهما، وسلطانًا كاسرًا له).

وقال الرسعني: (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي أي: لا تَفْتُرا... المعنى: لا تنسياني، وليكنْ دأبُكما وشعارُكما ذِكْري. وقيل: المعنى: لا تَنِيَا في تبليغِ رسالتي، وهو يدخلُ في القولِ الأوَّلِ؛ لأنَّ تبليغَ الرسالةِ مِن جملةِ ذِكرِ الله تعالى)

من شرّفه الله بالدعوة لدينه، وعرض آياته على الناس؛ فليكثر من ذكر ربه. وهو مقام دعوي ينبغي ألا نغفل عنه. خباب مروان الحمد

في طريقهما إلى مواجهة فرعون أمرهما بالذكر بلا وهن ولا انقطاع! المواقف العصيبة يتخطاها الإنسان بالذكر. تدبر آية

في الختام: إن الاصطفاء الرباني لموسى عليه السلام لم يكن إلا لأجل حمل عبء الرسالة ولإيصال الدعوة والبيان للطغاة ومن سار على نهجهم.

إن الله اصطنع موسى وتولى رعايته لا ليعيش موسى لنفسه ولذاته لا همَّ له ولا هدف لديه، إن الاصطفاء كان لأجل الله ولتبليغ دينه.

وهكذا تكون نهاية الصناعة الربانية لموسى عليه السلام لكي يعيش عالمي الدعوة ناقلاً الخير للغير، يحمل على كتفه أعباء الرسالة للأمم الكافرة والسادرة في غيّها، فيا فوز من صنعه الله لدينه، ويا خسارة من لم يفز بالصناعة الربانية. سلطان العمري